

الرسول ﷺ

قرأت في عدد الرسالة الذي صدر بتاريخ الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ باباً من القصص الشعري عن (إسلام حمزة) رضى الله عنه وقد وضع هذه القصة واضعها^(١) وهو يقصد بها - إن شاء الله - خيراً . إلا أن طريق الخير إلى ما قصد إليه قد التوى به التواءً يذهب بكل ما عمّد إليه ، فإنه وضع على لسان الرسول شعراً نزهه الله عنه بقوله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبَغِي لَهُ ﴾ ، ثم يلي ذلك أنه قد وضع على لسانه ما لم يقله ﷺ .

وليعلم صاحب هذه القصة أن الرسول ﷺ يقول « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ويقول « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » . فكيف بصاحبنا وهو يُنطقُ رسولَ الله ﷺ بما لم يقله ، ثم يكون ما أنطقه به من الكلام مَصُوغًا في القالب الذي نزه الله عنه نبيه ﷺ ؟
وهذه المسألة مما يريد بعض الناس أن يحتال لها بمنافق الكلام ليستحل ما لا يحلُّ أبداً . وهم يراودون الناس فيها عن عقولهم أولاً ثم عن إيمانهم ثانياً ، لينقادوا لهم في الرضا بها والمتابعة عليها ...

والمسألة لو تناولت أحداً غير صاحب الرسالة لقلنا عسى ولعل ... ولنظرنا في المخرج الذين يتأولونه نظر المنطق ، ولكنها تناول إنسانية وحدها قد جعلها الله بمنزلة فوق منازل سائر البشر ، وإن لم تخرج عن منزلة البشر في أعراض الحياة وما يكون فيها وما يأتي منها .

إن إنسانية الأنبياء وحدها هي الإنسانية التي أوجب الله على من حضرها من الناس أن يؤمن بها أولاً ، ثم يحافظ على رواية سيرتها ثانياً ، ثم يحترس ويتدبر

* الرسالة ، السنة الثانية (العدد ٥٢) ، ١٩٣٤ ، ص : ١٠٩٥

(١) هو الأستاذ فريد عين شوكة ، انظر العدد ٥١ من الرسالة ، السنة الثانية ، ص : ١٠٧٧

فيما ينقل عنها أو يصفُ منها ، لأن نسبة شيء من الأشياء إليها قد يكون مما يتوهم أحدٌ منه وهمًا يخرج - فيما يُقبل من أمر الدنيا - بحقيقة الرسالة التي أرسلوا بها عن القانون الإلهي الذي عمِلوا به ليحققوا كلمة الله التي تعلقوا أبدًا ، وتُزهر دائمًا ، وتبقى على امتداد الزمن روح الحياة البشرية وميزان أمر الناس في هذه الدنيا .
وليس يقال في قصة صاحبنا أو غيرها أنَّ ما أُنطِقَ به الرسول لا يتناول تشريعًا أو أدبًا أو حكمة ، وإنما يتناول الكلام المُتَعاطَى بين الناس فليس به من ثمَّ بأسٌ ...
ليس يقال مثل هذا لأن التشريع حين يوضع ويراد به سدُّ أبوابٍ من الشر والفتنة يأتي منعمًا مصممًا لا مدخلَ فيه ولا ثغر حتى يدفع المُحزِّين^(١) والمفسدين والعابثين ويضرب على أيديهم من كل ناحية . ولو كان الأمر على غير ذلك لتناول كل لَصٍّ مفتاح الباب الذي يريد أن يدخل منه إلى عقول الناس ليستغزوهم ويزلزلهم من جنة الإيمان إلى جحيم الإلحاد في الدين من الطريق الخفى الذي لا تُبصر فيه العامة ولا تَهْدَى به إلى أرشد أمرها في الحياة .

فنحن هنا نتقدم إلى الأستاذ صاحب القصة بأن يتدبر ما شاء ، فهو سيدع ما سلك إلى سبيلٍ أهدى ، فإن الأدب الذي له نعمل لم يقتصر ولم يضق حتى ندع ما أحل الله إلى ما نهى عنه ، ونترك سبيل الرشاد إلى سبيلٍ تنحدر بنا إلى هاويةٍ لا قرار لها ، ولا عاصِمٍ منها .

* * *

(١) المحزبون : الذين يُحزَّبون القوم ، أى يجعلونهم أحزابا ليتعصبوا لما جمعوهم له .